منهجية المقارنة وتطبيقها على بعض مظاهر الحوار بين الأديان وبين الواقع المتأزم والآفاق المستقبلية

الدكتور/عبد القادر بخوش.

أستاذ مكلف بالدروس بكلية

-جامعة الجزائر-

مفهوم الحوار بين الأديان:

إن قضية الحوار بين الأديان واحدة من أبرز القضايا التي أثرت الساحة الفكرية، وشغلت البشرية في هذا العصر، باعتبارها من أنجع الوسائل الكفيلة بتحقيق ما يصبو إليه العالم من أمن وسلام .ولذلك شهدنا في الفترة الأخيرة مراكز أقيمت لهذا الغرض، وعقد عديد من اللقاءات والمؤتمرات الدولية.

إن الحوار الحقيقي بين الأديان يعمل على إيجاد أرضية مشتركة من المفاهيم الفكرية المتفق عليها بين المتحاورين في مجالات الدين المتنوعة.

ولما كان الحوار بين الأديان رديف الحوار بين الحضارات، فإن هذا الأخير بات يعني "ذلك التفاعل الفكري الناشئ من احتكاك المبادئ والنظريات في ثوب من المطارحات والمناقشات والمناظرات الفكرية، وما يستتبع ذلك من قبول الأطراف المحاورة نظريات الآخر، أو رفضها، أو طرحها للأخذ أو الرد"[1]

تأسيسا لما سبق، فإن فكرة الحوار بين الأديان تتطلع أصلا إلى دور الدين كعنصر فعال في العيش نحو السلام والتآلف والتعايش بين الشعوب المختلفة الأديان وللإنصاف فإن جهودا مضنية لأصحاب الديانات المختلفة بذلت لتحقيق ذلك، ولكن سرعان ما انحرفت فكرة الحوار عن مسارها الحقيقي، وباتت تفصح عن اتجاه جديد أكثر خدمة للفكر اليهودي.

والسؤال المثار هو كيف حدث هذا الانحراف؟ وكيف استقلت فكرة الحوار لخدمة الأغراض اليهودية؟

اليهود وفكرة الحوار بين الأديان:

إن بداية فكرة مؤتمرات حوار الأديان ترجع إلى القرن التاسع عشر للميلاد، ففي عام 1893م، عقد أول مؤتمر للأديان بمدينة شيكاغو بولاية ألينو الأمريكية[2]، شارك فيه ممثلون لكافة الأديان عدا اليهود الأمريكيين والسيخ والبوذيين، ولم يمثل الإسلام غير الأمريكي حديث العهد بالإسلام، تناول المؤتمرون قضايا منها العدالة والمساواة[3].

وتوالت بعد ذلك مؤتمرات وندوات عديدة في دول العالم، وما أن أطل العام 1993م، أي بعد قرن كامل من تاريخ أول مؤتمر حتى عقد في 28-8-1993. "برلمانات ديانات العالم" بمدينة شيكاغو وضم ما يقارب ستة آلاف مشارك يمثلون مختلف ديانات العالم بما يساوي 125 عقيدة دينية مختلفة، لبث المؤتمرون تسعة أيام كاملة في نقاش قضايا غاية في الأهمية، والأمل في البحث عن سبل إنهاء الحروب وفك النزاعات التي تنشب باسم الدين، والمطالبة بنزع التسلح، ضرورة السعي نحو التعايش السلمي بين الشعوب، واحترام جميع العقائد الدينية، وفتح جسور التلاقي بين أصحاب الأديان المختلفة.

وما أثار الدهشة أن أمل المشاركين تبدد، وبدا جليا في هذا اللقاء محاولة اليهود بسط نفوذهم على جدول أعماله وإدارته، فاتجهوا به في اتجاه خدمة أهدافهم السياسية، مما دفع كثيرا من رجال الدين إلى الاستنكار والتنديد، كما رفضوا التوقيع على التوصيات والقرارات النهائية للمؤتمر، لاحتوائها على فقرات عديدة من التوراة[4].

ما إن انقضت عشرون يوما من انعقاد المؤتمر، حتى انعقد المؤتمر العالمي لحوار الأديان السماوية الثلاثة، الذي يعد أضخم وأشهر مؤتمر من هذا النوع على الإطلاق، وأشرفت

على تنظيمه منظمة "سانت جيديو" في 1993/09/18 بميلانو بإيطاليا. وذلك بالتعاون مع جامعة كالادي هاناريس، "القلعة" باسبانيا، تحت عنوان "ملتقى أهل الكتاب...والالتزام من أجل السلام".

وتبرز أهمية هذا المؤتمر خاصة في نوعية المشاركين والمدعوين، حيث ضم كبار علماء الدين وأشهر الشخصيات السياسية النافذة.

فمن الجانب اليهودي نجد كبار الحاخامات وأساتذة الجامعة، وممثلي الجاليات اليهودية في العالم ورجال السياسة فضلا عن يهود الدول العربية، سواء الذين هاجروا إلى إسرائيل أم الذين استقروا في الدول العربية مثل يهود المغرب. يتزعم الوفد اليهودي وزير الخارجية ومهندس نظرية السلام الإسرائيلي شمعون أوبيريز

أما عن الجانب العربي فقد حضر ممثلون عن تسعة بلدان عربية. وما يميزه هو وفرة التمثيل الفلسطيني، حيث حضره وفد رسمي يمثل السلطة الوطنية الفلسطينية برئاسة فريح أو موسى، وزير العدل الفلسطيني، وممثلون عن الاتجاهات السياسية، وعن المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين، في مقدمتهم مطران القدس ومن الشخصيات الإسلامية مفتي اليمن، ومفتي تونس، والدكتورة عائشة عبد الرحمن[5].

أفضى هذا المؤتمر الأخير إلى استياء كبير وردود فعل في كل أقطار العالم الإسلامي، بعد أن انكشفت دوافعه الحقيقية، وتحول إلى مصيدة للمسلمين من قبل اليهود الذين يتولون توجيهه لتحقيق أهداف سياسية لا علاقة لها بالدين ولا بالحوار بين علماء الأديان الثلاثة.

كشف د.علي جمعة نائب رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وممثل شيخ الأزهر في المؤتمر، أن المؤامرة التي حيكت من قبل اليهود للإيقاع بالمسلمين والمسيحيين على

السواء، لموافقة اليهود على تقديم العون لهم لتحقيق مشروعهم الصهيوني، وقد بدا ذلك جليا من خلال التمثيل اليهودي المكثف، حيث شكل اليهود ما يقارب 80% من نسبة الحضور أما ممثلوا الدين المسيحي فيشكلون 15 بالمائة، وتركت نسبة 5بالمائة للمسلمين والوثنيين.

وإلى جانب ذلك كانت السيطرة اليهودية على التنظيم والإشراف وإدارة الحوار، وعندما شعر المشاركون من المسلمين بأنهم وقعوا في مصيدة أحكمت حلقاتها عبروا عن استنكارهم على هذا الوضع، وأصدروا بيانا احتجاجيا موجها إلى الجامعة، صاحبة الدعوة، وألحوا فيه على ضرورة اقتصار الدعوة لحضور مثل هذه المؤتمرات على المفكرين والأكاديميين ورجال الدين، وليس السياسيين، ومن السماء التي وقعت على هذا البيان، الدكتور برهان غليون، مدير مركز دراسات الشرق المعاصر، بجامعة السربون، والدكتور علي أمليل المغربي، وعدد آخر من المشاركين.

أما الأستاذ فهمي هويدي، فقد وصف المؤتمر بأنه لم يكن أبدا حوار لأديان والدليل على ذلك أن أحد المسيحيين تحدث عن عدم السماح له بدخول القدس، فاستنكروا عليه إثارة هذا الموضوع ، لأن هذا مؤتمر ديني وليس سياسي وليس أدل على قبضة اليهود على هذا المؤتمر، كما يضيف هويدي من أن نسبة اليهود المشاركين 80%، والشركات الممولة للمؤتمر 90% منها من أنصار اليهود بإسبانيا ناهيك عن نوعية الأطعمة اليهودية المقدمة، ويشرف عليها حاخام يهودي.

وعن سبب استجابته للدعوة أجاب هويدي بأنها كانت موجهة من جامعة القلعة، غير أننا فوجئنا بملصقات شعارات الجامعة تحتوي على نجمة داود.

وتبعا لما سبق فإنه يتضح بأن خطاب الدعوة كان بصيغة أخرى كما يذكر هويدي، حيث أنهم أرادوا توظيف المؤتمر والدين لخدمة الموقف الإسرائيلي، فهم يستغلون كلمة السلام للتغطية عن جرائمهم، بالإضافة إلى فتح الجسور الأخرى، وخاصة الشعوب الإسلامية من أجل تحقيق التطبيع، هدف إسرائيل الحاضر[6].

إن اهتمام اليهود بمؤتمرات حوار الأديان، لم ينحصر في بلدان غربية، بل تعداه إلى بلدان عربية، فمن أشهر المؤتمرات ذلك الذي عقد في "سانت كاتن" بسيناء مصر، في الفترة ما بين 4-8آذار مارس 1984م، وحضره وفود تمثل الإسلام واليهودية والمسيحية والبوذية، وديانات الهنود الحمر، والبهائية[7].

أما عن المبادئ التي وردت فيه هي:

-إدعاء الديانة اليهودية منبع الأديان السماوية.

-اعتبار الإسلام نسخة من الديانات السابقة.

-محاولة إحياء مجمع الأديان (اليهودية، المسيحية، الإسلام) الذي دعا إليه الرئيس المصري أنور السادات.

-محاولة إخراج المسلم عن شخصيته الإسلامية المتميزة، وحصره في نطاق من الوطنية الضيقة.

ومن أجل تحقيق هذا المشروع اليهودي من وحدة الأديان، حاول المؤتمرون إقامة صلاة واحدة بين جميع الأديان وهي صلاة الصمت، في ظل جبل موسى عليه السلام وفي غير أوقات الصلاة الإسلامية، ولكن الوفد الإسلامي رفض الاشتراك في تلك الصلاة المزعومة[8].

ولنا أن نتسائل: لماذا هذا الاهتمام بفكرة حوار الأديان من قبل اليهود؟ وماذا يمكن أن تحقق لهم هذه الفكرة؟ في ظل الأوضاع الدولية الجديدة؟

التطبيع مشروع اليهود المعاصر:

إن فكرة الحوار بين الأديان التي يدعمها اليهود في طياتها إطارا استراتيجيا، يعمل اليهود على تحقيقه مع مطلع الألفية الثالثة، عرف بالتطبيع.

يمثل التطبيع قفزة نوعية للتصور الاستراتيجي الصهيوني، في خضم المستجدات الدولية المعاصرة للتفاعل معها إيجابيا.

يقول أحمد شرف:"إننا نود أن نقف على السياسة العامة للتفكير الإسرائيلي الجديد باعتباره يمثل توجها صهيونيا متطورا، يريد أن يستمر في فرض هيمنته، ولكن بوسائل أخرى، فكما استبدل الاستعمار القديم أساليبه بأساليب التبعية الاقتصادية والعسكرية والتقنية، تريد إسرائيل أن تحدث هذا التغيير وتستبدل سياسة العسكرة والاحتلال بسياسات الهيمنة الاقتصادية"[9].

وما يعزز هذا الرأي النظرية الجديدة التي جاء بها مهندس الفكر اليهودي المعاصر"شمعون بيريز" في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" والذي يجسد بحق الاستراتيجية الصهيونية الجديدة في مرحلة استبدال التوسع الجغرافي باختراق المجتمعات العربية اقتصاديا وثقافيا بصفة خاصة، وذلك لمواجهة الكم العربي بكيف إسرائيلي"[10]

ونظرية بيريز هي حصيلة بحوث ودراسات قامت بها الأبحاث الاستراتيجية في إسرائيل حتى قبل عدوانها في سنة 1967. ففي عام 1965 دعت وزيرة خارجية إسرائيل "جولدا مايير" من محافظ البنك المركزي بـ"دافيد مورقيتز" إلى إنجاز دراسة عن الأهمية الاقتصادية التي يمكن أن تحققها إسرائيل من إقامة علاقات سليمة مع دولة المنطقة.

وقد تم تكليف الباحث "الياعزر شيقر" بإعداد هذه الدراسة، حيث انتهى هذا الباحث إلى أن ميزانية الدفاع تكلف نفقات باهظة لإسرائيل، وباتت الأزمة الاقتصادية التي تثقل كاهل اقتصاد إسرائيل.

وفي عام 1970م أصدرت رابطة السلام في إسرائيل كتابا بعنوان "الشرق الأوسط عام 2000" سجل فيه كبار الأكاديميين والمفكرين اليهود انطباعاتهم وتوقعاتهم لمستقبل الشرق الأوسط، بما فيها إسرائيل، في نهاية القرن العشرين، واستندت هذه الانطباعات لفرضية أساسية هي إحلال السلام الاقتصادي بما يتطلبه ذلك من إزالة الحواجز السياسية والاقتصادية، وإنهاء حالة النزاع العسكري[11]

وبهذا تم بلورة الفكر الاستراتيجي الجديد لإسرائيل منذ 1970، وغدا مع "بيريز" نظرية مكتملة تسعى السياسة اليهودية لتحقيقها في أرض الواقع[12] تتضح معالمها في مايأتي:

-إحلال السلام ضرورة للمحافظة على أمن إسرائيل.

-التطبيع يحقق المنافع الاقتصادية التي باتت تمثل الاستعمار الجديد في المنطقة.

-استراتيجية التطبيع لا تعني انهيار الإستراتيجيات السابقة، أو إلغاءها، ولكن الاعتقاد السائد أن الطرق السابقة استنفذت مهامها، وحققت أهدافها وعليه، ينبغي أن يتكيف الفكر الصهيوني مع المعطيات الجديدة[13].

-إن السياسة اليهودية تعمل على فرض هذه الرؤية الجديدة من خلال ما يعرف بنظام الشرق الأوسط، الذي يعني قيام كيان موحد تكون فيه إسرائيل العقل المدبر، والدول العربية الجسم والجسد[14].

-والفكر اليهودي المعاصر في محاولته لفتح جسور التلاقي مع الوطن العربي والإسلامي لتحقيق أهدافه يصطدم بعقبة كؤود، تتمثل في الموقف الديني الذي يعد حجرا

في طريقه، لذلك عمدت السياسة اليهودية على بعث ودعم مؤتمرات حوار الأديان لاستدراج الإسلام إلى ما يتطلعون إليه من التطبيع الديني.

-يتضح مما سبق محاولة اليهود إحكام سيطرتهم على مؤامرات الحوار بين الأديان، ومحاولة توظيف فكرته لأغراض مشبوهة، ولكن هذا لا يعني أن الفكرة في حد ذاتها مرفوضة إسلاميا بل في جوهرها تمثل وعيا دينيا ناضجا جديرا بالاعتبار، في عالم أضحى التصادم والتصارع سمته البارزة.

-كما لا ينبغي وجود مخلصين يحدوهم الأمل في إنهاء العداء والتجاهل الذي يطبع العلاقات بين الأديان لحقبة زمنية طويلة، والوصول بالبشرية إلى بر الأمان والسلام.

-هكذا تبين لنا خطر الباطنية على فكر الإسلامي بما تتسم به من تستر فماذا عن الوسيلة الأخرى التي استعان بها التهويد لتحقيق أمانيه؟

الهوامش

1- أحمد محمد العسال، حوار الحضارات "مدخل إلى رؤية إسلامية"، (القاهرة،مكتبة وهبة،ط1، 1416هـ،1996م). ص12.

2- Georges Theotis ; de la contreverse au dialogue (relgieuse. N°196. 15September 1998), p38.

3- محمد اسماعيل مصطفى ياسين، حوار الأديان هدف نبيل، أم فخ للمسلمين؟ (القاهرة، مجلة عقيدتي، عدد1994/12/13)، ص5.

4- المرجع السابق، ص5.

5- المرجع نفسه، ص5.

6- المرجع نفسه، ص5.

7- أحمد الزغيلي، العنصرية اليهودية وآثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ج3، ص302.

8- المرجع نفسه، ج3، ص302-303.

9- أحمد شرف، التطبيع ومقاومته، (طرابلس، ملتقى الحوار العربي الثوري الديمقراطي، ط1، 1996م)، ص71-72.

10- المرجع نفسه، ص64.

11- المرجع نفسه، ص94-95.

12- وينبغي التذكير هنا أن الأنشطة والممارسات التي تعيشها الصهيونية وأداتها إسرائيل على أن الحركة الصهيونية، وهي تحتف ببدء المائة الثانية من عمرها، تخطط وتضع تصوراها لما تنوي فعله في القرن القادم. ولذلك عقد أكثر من 300 مندوب من مختلف المنظمات اليهودية إضافة إلى مسؤولين الإسرائيليين مؤتمر المئوية الصهيونية الثانية في بازل بسويسرا 26-30 أوت1997، لتقييم إنجازات الحركة الصهيونية في مائة عام، وليصوغوا برامج العمل الصهيوني في المائة الثانية.

- أنظر هيثم الكيلاني، العرب والصهيونية والقرن الواحد والعشرين، (الكويت، عالم فكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج28، عدد 1 يوليو/سبتمبر1999) ص91.

13- المرجع نفسه، ص88-89.

14- فكتور الكك، الثقافة العربية والتحديات الإقليمية، (بيروت، منشورات المجمع الثقافي العربي، من أعمال المؤتمر الثقافي العربي الثاني، 14-16 كانون الأول 1995م). ص120-121.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾

"سورة الحج، الآية 54"